المحاضرة الرابعة

الإستراتيجية كنهج و طريقة

بين النموذج السياسى و النموذج العسكرى

عبر التاريخ الطويل للفكر الإستراتيجي نكتشف التغيير أو الاضطراب بين ما يمكن ان نسميه بالنموذج السياسي و النموذج العسكري . الأول يربط الإستراتيجية ببعد سام ومتفوق هو البعد السياسي ، و بالقيادة العامة للحرب ، بينما الثاني يتمركز ضمن إطار صارم من تنظيم الجهاز العسكري وقيادة العمليات و المعارك .

هذه الثنائية تم التنظير لها في القرن العشرين مع التمييز بين الإستراتيجية الكبرى أو العامة ، و القيادة الدبلوماسية الإستراتيجية و الإستراتيجية العملياتية . ولكن في الواقع هذا التمييز وجد منذ القرن الثامن عشر،أي منذ ظهور الفكر الإستراتيجي .

أيضا ، هذه الثنائية ستوجد في العلوم الإستراتيجية المعاصرة . Jomini كان قبل كل شيء مفكرا عسكريا كما تشهد بذلك عناوين أولى مؤلفاته " :تحليل العمليات الكبرى "، " التاريخ العسكري للحروب " . بينما نجد Clausewitz يربط بشكل واضح بين الحرب ونهاياتها السياسية في الواقع، إرث Jomini سيهمن على الفكر الإستراتيجي طيلة القرن التاسع عشر، أما أولوية الفصل بين السلطة الثورة السياسية و القيادة العسكرية ستقود إلى انتصار النموذج العسكري حتى عام ١٩١٤ والسبب أن القلق الوحيد كان في كيفية الانتصار في حقل المعركة من غير الأخذ بالحسبان لمصطلحات السلام التي ستهتم بها فيما بعد السلطة السياسية.

أما القطيعة الحقيقية بين النموذجين كانت بعد عام ١٩٤٥ ، حيث ظهرت قوة النموذج السياسي ، وكان هذا شيئا طبيعيا بعد الوصول إلى اختراع القنبلة النووية حيث منعت التفكير بوسائل لها غايات عسكرية فقط . هذه الأولوية للسياسة بقيت حتى اليوم ، حتى ولو أن بعض الكتاب العسكريين حاولوا إبقاء فكر يستلهم التكتيك مبعدين منه البعد السياسي .

إيديولوجية و استراتيجية

إن عودة النموذج السياسي وبقوة على الساحة ، طرحت سؤالا جديدا طالما تم تجاهله ، وهو العلاقات بين الإيديولوجية و الإستراتيجية . في البداية ، الإستراتيجية تم إدراكها كجزء أساسي من عملية تقنية ، أما كجزء من إيديولوجية عامة للمجتمع ، فلم تأخذ قيمتها سوى بشكل بسيط جدا .

الإستراتيجية توقف علن أن تكون معرفة" روحية "لها سمو وتفوق ، لتدخل ضمن البيئة التي تعيش فيها وتصبح جزءا منها . ربما يكون من الضروري معرفة التأثيرات التي مورست على هذا الكاتب أو ذاك ، ولكن هذه المعرفة لا تكفي للقول أن كاتب إستراتيجي معين استطاع بناء نظرية أو مذهب إستراتيجي فقط لأنه قرأ فيلسوفا أو مجموعة من المؤلفات الفلسفية، لأن التأثيرات الإيديولوجية والفلسفية،لوحدها، لا يمكنها أن تبني نظاما أو نسقا فكريا.

كما أن النظريات الإستراتيجية أو المذاهب الإستراتيجية ليست انعكاسا بسيطا لإيديولوجية عامة سائدة.

المدارس الإستراتيجية

المدرسة الكلاسيكية

وتتركز حول قيادة الحرب ، وتجمع كل المنتمين إلى المفهوم التقليدي للحرب حول نموذج واحد : هو النصر . ترى هذه المدرسة أن الإستراتيجية هي فن الجنرال وهي معرفته التي يتمتع بها كقائد أو كعبقري ، معرفة تسمح له وتحدد مدى استعداده للنصر أو الهزيمة .

المدرسة الكلاسيكية الجديدة

ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر،وقد ساهم في ظهورها تقدم العلوم الاجتماعية و الدراسات العلمية . بقي نموذجها يستند على مفهوم تحقيق النصر، ولكن الحرب هي من الآن فصاعدا تدخل في أفق صراعي أكسر ضخامة واتساعا ، كأن يكون لدينا إستراتيجيات للسلام ليس فيها بعد عسكري .

المدرسة الحديثة

تركت هذه المدرسة نموذج النصر الذي تسعى الحرب لتحقيقه ، وبدأت تقرأ الإستراتيجية كعلم اجتماعي لا يمكن وضع حدود له فقط داخل حقل الصراع و المعارك.هذه المدرسة أو الإستراتيجية الحديثة كانت عملا أو نتيجة لباحثين مدنيين ، أيضا شارك فيها العديد من العسكريين .